تَفْكِيكُ الجَسَدِ السِّيَاسِيِّ: نَقْدُ السِّيَادَةِ عِنْدَ (فوكو) و(أغامبين)

أ.د غيضان السيد علي[1]

ملخّص

حاول (ميشـيل فوكو-Michel Foucault) أن يقدّم مفهومًا جديدًا للسـلطة يختلف عن مفهومها السـيادي، ينطلق من "الممارسـة" لا مـن التنظير أو من منطلـق ما ينبغي أن يكـون، فقدَّم مفهوم "السلطة الحيويَّة" الذي تخترق فيه السلطة الحياة كلّها، بهدف تحسينها، وتنميتها، والحفاظ عليها بديلًا للسلطة السياديَّة التي تتركز في يد قطب واحد يمتلك الحكم والسيادة وتتوخَّى الغلبة والقهر والإماتة. ومن هنا، تحوَّلت السلطة الحيويَّة إلى سلطة انضباطيَّة تعنى بحياة السكَّان بوصفهم الجسد الاجتماعـي الذي يخضع للمراقبة، والتنظيم، والاختبار، والتحسـين، والحماية بل إخضاع الحياة كلّها لاستراتيجيتها، فتتداخل الحياة مع السياسة. في المقابل، وظَّف (جورجيو أغامبين - Giorgio Agamben) مفهوم "السياسـات الحيويَّة" توظيفًا مختلفًا عمَّا اسـتعمله (فوكو)، فقدَّمها بوصفها سياسات للموت؛ لأنَّ إنتاج "الحياة العارية" عنده تجعل الأفراد خاضعين لإمكانيَّة قتلهم والتخلّص منهم. وقد تجاهلت السياسـات الحيويَّة عند (فوكو) و(أغامبين) المرجعيات الدينيَّة والخُلُقيَّة، ما شكَّل عوارًا كبيرًا بها؛ لأنَّ السلطة دون مرجعيَّة خُلُقيَّة ودينيَّة قد يؤدّي إلى تبرير الظلم باسم "تنظيم الحياة"، كما أنَّها ساوت -خاصّة عند (أغامبين)- بين الأنظمة الديمقراطيَّة والاستبداديَّة في سلوكها.

الكلمات المفتاحية: (فوكو)، (أغامبين)، السلطة الحيويَّة، الحياة العارية، حالة الاستثناء.

١ - أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بكليَّة الآداب جامعة بني سويف- مصر

Deconstructing the Political Body:
Critique of Sovereignty in Foucault, Agamben

Prof. Ghaidan el-Sayyed Ali[1]

Abstract

Michel Foucault sought to introduce a new concept of power that departs from the traditional notion of sovereignty, grounding it in practical operations rather than theoretical speculation or moral ideals. To this end, he developed the concept of "bio power," which permeates every aspect of life with the aim of enhancing, developing, and preserving it, as an alternative to sovereign power, which is concentrated in the hands of a single authority that exercises domination and death. This bio power evolved into disciplinary power, concerned with populations as social bodies subject to surveillance, regulation, and improvement, ultimately bringing all aspects of life under its strategic control, where politics and life become intertwined. In contrast, Giorgio Agamben employs the concept of «bio politics» differently, presenting it as «politics of death,» where the production of «bare life» exposes individuals to violence, exclusion, and death. Both Foucault and Agamben, however, overlook religious and ethical frameworks in their analyses, which represents a fundamental gap: power without ethical reference can legitimize injustice under the guise of «organizing life.» Moreover, their theories, particularly Agamben's, tend to equate the practices of democratic and authoritarian regimes.

Keywords:

Foucault, Agamben, Bio Power, Bare Life, State of Exception.

1 - Professor of Modern and Contemporary Philosophy, Faculty of Arts, Beni Suef University, Egypt

مقدّمة:

عُرفت السلطة عبر التاريخ بأنَّها القدرة والقوَّة من أجل بسط السيطرة والحفاظ على الحكم، وقد ظلَّ هذا التعريف راسخًا وسائدًا حتى أحداث مايو ١٩٦٨ التي شهدتها باريس التي عُرفت بانتفاضة الطلاب، والتي مثَّلت منعطفًا حاسمًا في تاريخ فرنسا المعاصر، وخاصَّة في فكر وفلسفة الفيلسوف الفرنسي (ميشيل فوكو- Michel Foucault) ١٩٢٦ -١٩٨٤ الذي اعتبر موضوع السلطة إشكاليَّته الفلسفيَّة المحوريَّة الذي انطلقت منه فلسفته كلّها، فحضرت بوصفها إشكاليَّة رئيسة في معظم مؤلّفاته إن لم تكن كلّها؛ حيث تناول السلطة بوصفها الإشكاليَّة الأبرز في كتبه الآتية: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (١٩٦١)، والكلمات والأشياء (١٩٦٦)، وأركيولوجيا المعرفة (١٩٦٩)، والمراقبة والعقاب (١٩٧٥)، وتاريخ الجنسانيَّة (١٩٧٦-١٩٨٤)، وإرادة المعرفة (١٩٧٦).

وقد اعتبر (فوكو) أنَّ السلطة ليست مؤسَّسة كالدولة، وليست مقولة كليَّة كالإخضاع، وإنَّما هي علاقة قوَّة محايثة لمجالها؛ إذ ليس لها مكان معيّن بل هي منتشرة في كل مكان. ومن ثَمَّ عمل على تشريح "جسد السلطة" تشريحًا سياسيًّا ليكتشف أنَّها تُمارس على الأجساد، تخترقها وتستثمرها بل إنَّ حربها تأخذ شكل التحام جسد بجسد، إنَّه التحام "الماديَّات العارية" التي لا تفصلها حواجز، فتتبدَّى السلطة بوصفها علاقة أكثر منها حدودًا تقوم بينها علاقات.

إذن، نظر (فوكو) إلى مفهوم السلطة نظرة خاصَّة وجديدة في الوقت نفسه؛ فقد نظر إليها على أنَّها شبكة من العلاقات، تحضر في النسيج الاجتماعي برمته؛ في العلاقات الأسريَّة، والعلاقات المؤسَّسيَّة...إلخ؛ إذ لم ينظر إلى المجال الذي تُمارس فيه بوصفها ملكيَّة بل "استراتيجيَّة"؛ أي أنَّها ليست ملكًا لأحد، وهي ممارسة وليست موضوعًا أو شيئًا يمكن امتلاكه وتحصيله. وهي

"محايثـة"؛ لأنَّها تخترق مكوّنات المجتمع كلّها، فهي ليسـت بنية فوقيَّـة تقابلها بنية تحتيَّة، أو رئيس في مقابل مرؤوس؛ إذ لا يوجد مجال للثنائيّات في منطق السلطة عند (فوكو). وهي أيضًا "إجرائيَّة" وعمليَّة؛ أي أنَّها مجموع من الإجراءات الواضحة والخفيَّة في الوقت نفسه. والمصدر الحقيقي لها يأتي من أسفل الهرم وليس من قمّته.

فالسلطة – وفقًا لهذا- ليست شيئًا يُكتسب أو شيئًا يُحتفظ به أو يفقد بل تمارس من نقاط لا تحصى، وفي لعبـة علاقات غير متكافئة وديناميكيَّة. وبناء على هذا التصوّر للسـلطة، تغيّر مفهوم الدولة عند (فوكو)، فأصبحت نتاجًا للعلاقات السـلطويَّة في المجتمع. وقد نظر (فوكو) إلى السـلطة من خلال تأريخيَّة الجسـد من حيث كونه ينغرس في علاقات سـلطويَّة تؤثّر فيه وتتأثّر به. فقد نظر (فوكو) إلى الجسد بوصفه هدفًا وموضوعًا للسلطة. فالجسد لا يكون منتجًا إلا إذا أُدرج ضمن منظومة الاخضاع، فالجسـد عندما يكون خاضعًا ومنتجًا في آن واحد، عندها فقط يكون قد جرى توظيفه توظيفًا مثاليًّا. إذن، الجسـد عند (فوكو) ليس طبيعيًّا فقط بل سياسـيًّا، ليس حُرًّا تمامًا بل مشكَّلاً بالسلطة، وهو في الوقت نفسه ليس سلبيًّا تمامًا؛ إذ إنَّ هناك مجالاً للضبط والمقاومة. وتكمن أهميَّة هذا البحث في أنَّه يدرس البنية الحيويَّة للسـلطة في الفكر الغربي الحديث، ويتناول كيف انتقلت من سيادة الدولة إلى سـيادة الحياة نفسها؛ إذ يركّز على تحليل (فوكو) للسـلطة الحيويَّة (Biopower)، وتناول الفيلسوف الإيطالي (جورجيو أغامبين-Giorgio Agamben) لمفهوم "الحياة العارية"، ويعرض البحث تصوّر (ميشيل فوكو) للسلطة بوصفها شبكة علاقات لا مركز لها، منتشرة في كل المجتمع، لا مجرَّد أداة بيد الحاكم. ثمّ يقدّم قراءة نقديَّة لحدود هذا التصور، خصوصًا في ضوء الأبعاد الخُلُقيَّة والدينيَّة.

أوَّلًا: من السيادة بمعناها الكلاسيكي إلى السلطة الحيويَّة عند (فوكو)

تُستعمل مفاهيم «السيادة» أو «السلطة» أو «السيطرة» أو «الهيمنة» بوصفها مترادفات لمفهوم «السـلطة» الذي يشـير مدلوله في المعاجم اللغويَّـة إلى معاني: القدرة، والسـيطرة، والتحكّم، والتملّك، والقهر، والقوَّة، والغلبة [1]. كما يشـير (معجم مصطلحـات العلوم الاجتماعيَّة) إلى

١ - انظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة سلط، ص٣٢٠-٣٢٢).

السلطة بوصفها «القدرة أو القوَّة التي تمكّن من السيطرة على الناس، والضغط عليهم، ورقابتهم للحصول على طاعتهم، والتدخّل في حُريّتهم، وتوجيه جهودهم إلى نواح معيّنة»[١].

وتعدّ السيادة أو السلطة في معناها الاصطلاحي الكلاسيكي مرادفة للقوَّة المطلقة النهائيَّة غير المحدودة؛ إذ ليست لها حدود قانونيَّة؛ لأنَّ الدولة تمارس سيادتها أو سلطتها العامة، إمَّا من خلال القوة أو الاجماع أو باستخدامها معًا. أما طبيعة ممارسة هذه السلطة فهي ترجع أساسًا إلى بناء الدولة ومدى النضج السياسي للشعب؛ ففي الحكم المطلق أو الاستبدادي تميل الطبقة الحاكمة إلى استخدام القوَّة وتأكيد دورها، وهي قوَّة لا تستمد من إجماع الشعب أو اتفاقه. ولكن في الدولة الديمقراطيَّة التي يجري فيها اختيار الطبقة الحاكمة بحُريَّة عن طريق الشعب يضعف دور القوّة إلى حد كبير. فالقانون في هذه الدولة هو الذي يعبرّ عن الإرادة العامة للمجتمع، ومن ثَمَّ فإنَّ الناس يمتثلون له طواعية [٢].

إذن، السيادة هي سلطة عُليا على المواطنين والرعايا، لا يحدّ منها القانون بل ينظّمها. أما عن خصائص هذه السلطة، فهي: تمييزًا لها عن أي منحة للسلطة تكون مقصورة على فترة زمنيَّة محدّدة، وهي لا تفوّض أو تفوّض دون قيد أو شرط، ولا يمكن التصرّف فيها ولا تخضع للتقادم، ولا يحدّ منها القانون؛ لأنَّ العاهل هو مصدر القانون. والصفة الأصليَّة للسيادة هي سلطة وضع القوانين للمواطنين بصفتهم الجماعيَّة أو لكل منهم على حدة، والصفات الأخرى سلطة إعلان الحرب وعقد معاهدات السلام، وتعيين كبار الموظّفين، ومنح الإعفاءات، وصك العملة، وفرض الضرائب. وهذه كلّها نتائج مترتّبة على مركز العاهل بوصفه رئيس الدولة القانوني [٣].

هذه التصوّرات كلّها للسلطة عبر التاريخ تمرَّد عليها (فوكو)، ورأى أنَّها قوقعت السلطة وأردفتها بمفهوم الدولة والقانون، أو بعلاقتها بالطبقة، أو بالاقتدار والهيمنة، ذاهبًا إلى أنَّه يجب أن ننظر إلى السلطة من منظار آخر يركّز على العلاقات بين الموجودات، بوصفها شبكة معقّدة تستمد قواها من توزيعاتها الدقيقة من تفرّعاتها، ومن غلغلتها داخل الجسد الاجتماعي، عندئذٍ

١ - أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيَّة، ص٣٢٢.
٢ - محمد بن علي، علي عبد المعطي محمد: السياسة بين النظريَّة والتطبيق، ص٣٠٦.
٣ - محمد بن علي، علي عبد المعطي محمد: السياسة بين النظريَّة والتطبيق، ص٣٠٧.

ينظر إليها باعتبارها ممارسة؛ إذ يقول: «لا أعني بالسلطة مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما. كذلك، لا أعني بكلمة سلطة نمطًا من الإخضاع الذي هو على العكس من العنف، إنَّما يتخذ شكل قاعدة. وأخيرًا لا أعني بكلمة سلطة نظامًا عامًا من جهة الهيمنة، يمارسه عنصر أو مجموعة على عنصر آخر أو مجموعة أخرى، تخترق مفاعيله الجسم الاجتماعي كلّه عبر انحرافات متتالية: فالتحليل، من منظور السلطة، لا ينفي أن نفترض أنَّ سيادة الدولة أو شكل القانون أو الوحدة الكليَّة لهيمنة ما، هي معطيات أوليَّة، إنما هي بالأحرى أشكال السلطة النهائيَّة»[١].

إنَّ (فوكو)- كما يقول (عبد العزيز العيادي)- «يتعامل بصبر كادح مع الجزئيَّات و«التفاهات» وتحديد البؤر والعلاقات والسياقات ومجالات الصراع والرغبة والتداول والمواجهة، وهو تعاملٌ يحثّ على بحث موضوعة السلطة نقديًّا، فلا نفهمها بوصفها ملكيَّة أو باعتبارها امتيازًا، أو تعاقدًا، أو استحواذًا... بل تُمارس انطلاقًا من نقاط لا حصر لها وفي خضم علاقات متحرّكة لا متكافئة»[٢]. إذن، السلطة تمارس بدلاً من أن تمتلك، وهي ليست امتيازًا مكتسبًا أو دائمًا للطبقة المهيمنة بل هي الأثر العام لمواقعها الاستراتيجيَّة، وتحقيق الأهداف المرجوّة والمخطَّط لها.

وقد ظهر هذا التحوّل في النظر إلى ما أسماه (فوكو) «السلطة الحيويَّة» تمييزًا لها عن مفهوم «السيادة» بسبب حدثين تاريخيين مُهمّين:

١. ظهور تقنيّات انضباطيَّة تسيطر على قوى الجسد الفردي.
٢. ظهور سيادة حيويَّة Biopolitics موجّهة نحو تنظيم وإدارة حياة ذات سياسة جديدة هي السكان، وتركّز على الجسد بوصفه نوعًا بيولوجيًّا يجب أن تدار وظائفه (التكاثر، والمواليد، والوفيات، والصحّة، وطول العمر، وغيرها...) عبر تدخّلات ومراقبات[٣]. ما يجعل السلطة تهدف بشكل أساس لاستثمار الحياة أكثر من القتل، كما كان سائدًا قبل ذلك.

---

١ - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص١٠١.
٢ - عبد العزيز العيادي: المعرفة والسلطة، ص٦٣.
٣ - إيمان علاء الدين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَة، ص٦.

أسّس (فوكو) مفهوم «السلطة الحيويَّة» بوصفها شكلاً جديدًا من أشكال السلطة يهدف إلى اخضاع الحياة لاستراتيجيّات السياسة؛ ليقيم فصلاً بينها وبين «السلطة السياديَّة» التي تمارس حقّ الحياة والموت من أجل السيطرة. وقد أُعطي هذا المعنى الجديد الذي استحدثه (فوكو) دفعة قويَّة نتيجة تركيزه على آليّات تحسين الحياة، وضرورة المحافظة عليها، وتمكينها، وتكثيفها لخلق كفاءات بشريَّة أعلى يمكن استثمارها على أفضل نحو ممكن. وهكذا انتقل (فوكو) من مفهوم «السيادة» بمعناه الكلاسيكي الذي يشكّل سلطة عقابيَّة إلى مفهوم جديد هو مفهوم «السلطة الحيويَّة» بوصفها سلطة ضبط ومراقبة.

ثانيًا: من السلطة السياديَّة إلى السلطة الانضباطيَّة: تحوّلات المفهوم عند (فوكو)

بدأ (فوكو) معالجته للسلطة بوصفها لغزًا ينبغي حلّه والكشف عنه أو بوصفه شيئًا غامضًا يجب أن نزيل الغبار عنه من أجل توضيحه[١]. فلا يمكن البحث عن السلطة تحت قبعة رجل السلطة بل يجب البحث عنها عبر شبكة الممارسات اليوميَّة في البيت الأسري، وفي علاقات النسب والدم، وفي المكتب التابع للمؤسسة، وفي التقسيمات الإداريَّة في شبكة القوى الصامتة. فابتدع بذلك (فوكو) شكلاً جديدًا للسلطة، أو بشكل أدقّ نظريَّة جديدة عنها، تتلخّص في تجزئة مفهوم السلطة إلى وحدات مصغّرة؛ ليسهل حلّ ألغازها وفكّ طلاسمها وإزالة الغبار عنها؛ فهو لا يريد البحث عن السلطة في القمّة، وإنَّما يريد البحث عنها في القاعدة، وفي مناطق مجهولة لا يظنّ أحد أنَّ فيها سلطة، لا تعترف هذه النظريَّة بأي مكان متميز للسلطة؛ وذلك أنَّ السلطة فيها مبعثرة ومنتشرة في شتَّى أجزاء الجسد الاجتماعي[٢]. يقول (فوكو): «يجب على تحليل السلطة أن يكون تحليلاً سياسيًّا مجهريًّا لجسد السلطة، يكشف أنَّها تمارس على الأجساد، وتخترق الأجساد، وتستثمر الأجساد بل إنَّ حربها تأخذ شكل التحام جسد بجسد، إنَّه التحام الماديَّات

١ - الزواوي بغورة: الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص١٥٤.
٢ - هاشم صالح: فيلسوف القاعة الثامنة، ص٤٤.

التي لا تفصلها حواجز، هكذا يجب أن نحاول دراسة السلطة» [١].

حـاول (فوكو) تفكيك المفهوم بهـدف البحث عن التقنيَّات التي تحكـم حركيَّته، فلم يهتمّ بجوهر، أو أصل، أو شكل، أو مكوّنات السلطة، ولم يهتم بسؤال: ما السلطة؟ لكنّه اهتمّ بوصف مفاعيل السـلطة، ونتائجها، وكيفيَّة ممارسـاتها، بالطريقـة التي تمارس بها ماديًّـا وبالتفصيل، وبخصوصيّاتها، وتقنيّاتها، وتكتيكاتها[٢] بجزيئاتها المتناهية في الصغر، حتى أَطلق على نظريَّته هذه لاحقًا اسم «ميكروفيزياء السلطة» التي جرى فيها التدرّج من «المايكرو» إلى «الميكرو».

والمسـتوى الميكروفيزيائي يعني انتشار الانضباط في الفعاليات كافّة. ذلك الانضباط يعني السيطرة والرقابة اعتبارًا من الجسـد الفردي إلى الجسد الاجتماعي، وذلك حسب علم تشريح سـياسي موجَّه أساسًا بمبدأ توزيع القوى، ومراكز التوجيه، وأدوات التنفيذ، وهيكليّات علاقات القوّة بين الأفراد والجماعات، ما يضع خرائط مفصليَّة للتموضع الوظيفي، وحسـاباته الدقيقة. سواء في مجال تنظيم كيفيَّة استخدام الزمن، والبشر، واستيعاب الأخطاء الخُلُقيَّة [٣].

وقد اقتبس (ميشـيل فوكو) من الفيلسوف الإنجليزي (جيرمي بنتام- jermy Bentham) مفهوم "بانوبتيكـون"، وهو نموذج لإصلاحيَّة أو سـجن مكـوّن من مجموعة من الزنازين يتوسّـطها برج للمراقبة يُضاء من الخارج، فلا يتمكّن السجناء في هذه الحالة من معرفة من يراقبهم، لكنَّهم متأكّدون أنَّهـم مراقبون، ما يجعلهم يتصرّفون بشـكل منضبط. وهنا تحلّ المراقبة محـلّ العنف. وينتقل بنا (فوكو) من نموذج السجن إلى نماذج أخرى يتحقّق فيها الضبط بدلاً من العقاب والقتل والإقصاء، يحلّ فيها التحكم الناعم محلّ التحكّم المتوحّش. ومن ثَمَّ فإنّ مفهوم السلطة عند (فوكو) لم يقف عند المعنى التجريدي النظري، ولكنَّه تجاوز ذلك إلى المعنى التطبيقي، لتنزل إلى المستشـفيات، والسجون، والمحاكم، وغيرها؛ لتبحث في الكينونة التاريخيَّة لمجمل الممارسات البشريَّة[٤].

فالسـلطة عند (فوكو) لم تعد جهازًا أو طبقة حاكمـة متحكِّمة في فعل الآخرين بل أصبحت

---

١ - عبد العزيز العيادي: السلطة والمعرفة، ص٥٢.
٢ - عبد العزيز العيادي: السلطة والمعرفة، ص٦١-٦٣.
٣ - مطاع صفدي: مؤسسة الإنسان الانضباطي، ص٣٥.
٤ - انظر: ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ص٣١-٣٢.

منتشرة في شـكل علاقات يمكن العثور عليها في مسـتويات مختلفة في المجتمع، وبأشـكال متعدّدة في العلاقات الإنسـانيَّة. فـ(ميشيل فوكو) لا يسـعى إلى البحث في ما تنازل عنه الناس ليُـمارس عليهم الإخضاع، وإنَّما البحث في الكيفيَّة التي جرى بها ممارسـة الإخضاع[1]؛ حيث يجري تجنّب العنف المباشر ضدّ الناس، في ممارسـة السـلطة الراهنـة، لإجبارهم على اتخاذ قرارات معيّنة أو أنماط محدّدة من السـلوك، ويجري توجيه سـلوكهم الجسدي نحو المطلوب منهـم. أي أنّه يمكن القول إنّ السـلطة قد انتقلت من تعذيب الجسـد إلى ترويضه عبر آليَّة «فنّ التقسـيم» الذي يعني تقسيم الأفراد في المكان بشكل يتيح التحكّم، وتجنّب أي فعل أو ردّ فعل من شأنه الخروج عما هو متوقع، وبشكل لا يترك أي مجال لعفويَّتهم أو حُريّتهم.

ومن ثَمَّ، يتجاوز مفهوم السـلطة عند (فوكو) المفهـوم اليميني والليبرالي لها؛ إذ لم ينظر إلى السـلطة على كونها تجسـيدًا لفكرة سـيادة الدسـتور والخضوع للقانون، كونه المرجع الأعلى للسـلطة. كما يتجاوز المفهوم الماركسي للسلطة الذي يعتبر الدولة مالكة السلطة، وأنَّ السلطة تعكس الصراع الطبقـي في المجتمع. وإنَّما، مع عدم إنكار (فوكو) لهذه المعاني، نظر إليها من خلال مفاهيـم جديدة تعامل معها بوصفها اسـتراتيجيَّة ونوعًا من المحايثـة، والإجرائيَّة، فهي اسـتراتيجيَّة؛ لأنها ليسـت ملكًا لأحد. وهي محايثة؛ لأنَّها تنتشر أو تنبث في مفاصل المجتمع كلها. وهي إجرائيَّة؛ لأنَّها تعكس مجموعة من الإجراءات الخفيَّة والمعلنة في الوقت ذاته. ومن هنا يمكن فهم لماذا اتّجه (فوكو) إلى دراسة السلطة.

وقد استخدم (فوكو) جدليَّة «الجسد» و«السلطة» بوصفها خطًّا ناظمًا يحكم إنتاجه الفلسفي من بداياته حتى نهاياته، فوظف لها كافة البنى الأخرى الثقافيَّة، والدينيَّة، والسياسيَّة، والاجتماعيَّة. فالسـلطة توظّف الجسد دائمًا لخدمتها؛ فقد غدا الجسد عند (فوكو) «جسدًا للتدريب بدلاً من كونه جسدًا للفيزياء النظريَّة، جسد تشغله السلطة، أكثر مما هو جسد تجتازه الأرواح الحيوانيَّة، جسد التدريب المفيد وليس جسد الميكانيك العقلاني» [2]. أي بوصفه جسدًا منضبطًا بقوانين

١ - بول ڤيين: أزمة المعرفة التاريخيَّة: فوكو وثورة في المنهج، ص٣٥٥.
٢ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص١٧١.

ميكانيكيَّة خالصة. فمن مرحلة الجسد بوصفه قوة إنتاج، أو قوة عمل مادي فحسب، إلى ذلك الجسد المسيس الذي ينبغي ضبطه سياسيًا واجتماعيًا.

وهنا ينتقل بنا (فوكو) من «السلطة السياديَّة» إلى «السلطة الانضباطيَّة»؛ إذ يرى أنَّ السلطة لا تستمدّ مصدرها من مراكز السلطة السياسيَّة العُليا (أي قمة الهرم)، وإنَّما من سراديب المستشفيات وأجنحة المعزولين، من المصانع وقاعات الدرس، من الثكنات ومؤسَّسات المجتمع المدني أي (قاعدة الهرم)[١]؛ أي أنَّه لا يتعامل مع السلطة بوصفها امتيازًا أو ملكيَّة، ولكن بوصفها، يحظى بها طرف ويحرم منها آخر. وإنَّما بوصفها نوعًا من الاستراتيجيَّة أو المحايثة أو الإجرائيَّة، أو النظر إليها من حيث كونها «شبكة منتجة تمرّ عبر الجسم الاجتماعي كلّه»[٢].

إذن، حاول (فوكو) أن ينظر إلى السلطة من زاوية أخرى؛ إذ ذهب إلى فكّ العلاقة بين السلطة والدولة بوصفها علاقة خاضع بمخضوع له؛ إذ لم ينظر إلى السلطة بوصفها تعبيرًا عن الدولة مع أنَّ الدولة تعكس حالة متقدّمة من السلطة، لكنّه رفض أن يظل مفهوم السلطة بوصفه تعبيرًا عن القوَّة والقهر والعنف هو المعنى الوحيد للسلطة، ووصفه بأنَّه معنى سلبي، وأنَّه من الممكن أن ننظر إلى مفهوم السلطة من خلال مفهوم آخر إيجابي في معناه وفحواه، وهو المعنى القادر على الإنتاج لا القادر على العقاب والعنف والقتل.

وهنا تتحوَّل السلطة من مفاهيم كلاسيكيَّة مرفوضة عند (فوكو) تتمثَّل في السلطة السياديَّة بمعناها الكلاسيكي إلى سلطة انضباطيَّة أو بوصفها شبكة منتجة تمرّ عبر الجسم الاجتماعي كلِّه أكثر مما هي هيئة منفصلة وظيفتها ممارسة القمع. تتمثّل في ذلك الانتشار غير المحدود للسلطة في المجتمع، وبعبارة (فوكو) «في شبكة الممارسات اليوميَّة في البيت الأسري، وفي المكتب التراتبي، وفي المؤسسة التناضديَّة، وفي علاقات الرحم والنسب والدم، وفي التقسيمات الإداريَّة والفئويَّة والطائفيَّة وسواها، تلك هي شبكة من القوى الصامتة»[٣].

هكذا يؤمن (فوكو) بضرورة الانتقال من السلطة بوصفها قهرًا واسترقاقًا إلى السلطة بوصفها

١ - عبد الله السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة في فلسفة ميشيل فوكو، ص١٩١.
٢ - ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ص ٦٣.
٣ - مطاع صفدي: نقد العقل الغربي: الحداثة وما بعد الحداثة، ص٩٢.

انضباطًـا، فالأُولى تقوم على العبوديَّـة التي تهدف إلى تملّك الجسـد، والثانية أنيقة تقوم على الالتزام. كما أنَّها تختلف عن الخدمة المنزليَّة التي تقوم على الهيمنة غير المحدودة. فالسـلطة الانضباطيَّة تهدف إلى ضبط الأجسـاد بدلاً من تعذيبها وقهرها. لكنَّه انضباطًا يختلف عن ذلك الانضبـاط الرهباني الذي يقوم عـلى التخلّي بدلاً من التزوّد بالمنافـع، وانضباط يقوم على منع النفس وقهرها وقمعها بواسـطة الـذات. إنَّ الانضباط الذي يقصده (فوكو) هـو انضباط التزام يمارس على الجسـد البشري ليس بهدف زيادة مهاراته وزيادة تبعيَّته فقط، بل تكوين علاقة من شأنها أن تجعله أكثر طاعة بمقدار ما هو مفيد والعكس [١].

ويحدّد (فوكو) الانضباط بدقّة؛ إذ يقول في نصّ معبرٍّ عمَّا يقصده: "فالانضباط التزام لا ينقطع ثابت، يسـهر على عمليَّات النشاط أكثر من سهره على نتيجته، وهو يمارس وفقا لتقنين، يحصر بدقَّة أكثر الزمان والمكان والحركة، هذه الطرق هي التي تتيح التحكّم الدقيق بوظائف الجسـد، والتي تؤَمّـن الإخضاع الدائم لقواه، وتفرض عليها علاقـة (طواعيَّة-منفعيَّة). فالانضباط أصبح خلال القرن السابع عشر والثامن عشر صيغًا عامة للسيطرة" [٢].

وهنـا تتحـوَّل السـلطة من معنى سـيادي قهـري إلى معنى إيجـابي يتمثّل في ممارسـات، واسـتعدادات، وتكتيكات، وسير عمل، وأن تكتشف فيها بالأحرى شبكة علاقات دائمًا ممتدّة. ولذلك ربط (فوكو) بين المعرفة والسلطة؛ إذ يقول: «السلطة والمعرفة تقتضي إحداهما الأخرى، وإنّه لا توجد علاقة سلطة من دون تأسيس مناسب لحقل المعرفة، وأنّه لا توجد معرفة لا تفترض ولا تقيم بذات الوقت علاقة سـلطة»[٣]. وقد دخلت «الأخلاق» كما دخلت «المعرفة» المجال الحيوي للسـلطة الانضباطيَّة؛ إذ لم تسـتطع أن تحفظ لذاتها اسـتقلاليَّة، وصـار عليها أن تنفّذ أوامـر الانضباط وإن غلَّفتها بهالات من القِيم والمثل. لعلَّ ذلك هو الذي مكّن لعلاقات القُوى بين الأفراد أن تقود مختلف العلاقات الأخرى، وأن تشـكّل لها بطانة من العنف المشغَّف الذي يبيح لذاته اسـتخدام مختلف الوسائل «المتحضّرة» للانقضاض على منافسيه، وفي هذا الفضاء

١ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص ١٥٩.
٢ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص ١٥٨.
٣ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص٦٥.

الاجتماعي الذي يغدو ساحات قتال شرسة لجميع الأفراد الذي إمّا هم متنافسون جميعًا على امتلاك أقل وسائل الدفاع والهجوم في حرب رهيبة غير معلنة من قِبل الجميع على الجميع، وإمَّا أن يجري تحييد بعضهم إلى درجة تهميشهم وإلغاء مواقعيتهم[١].

ثالثًا: الجسد والمجتمع: كيف تُمارس السلطة في التفاصيل اليوميَّة

اهتمَّ (فوكو) منذ البداية بالعلاقة بين الجسد والسلطة؛ إذ إنَّ هناك علاقة وطيدة بين «الجسد» وبين «السلطة» التي تكمن في المؤسّسات المتخصصة، والتي من الممكن أن تتمثّل في إحدى طريقتين: الأُولى عقوبات عنيفة أو دمويَّة، والثانية طرق لطيفة تحبس أو تصلح [٢]. وقد أكّد (فوكو) على أنَّ هذه العلاقة قديمة قدم الإنسان والسلطة معًا، وأنَّ هناك توجّه دائم في كل العصور إلى وضع الجسد بوصفه هدفًا وموضوعًا للسلطة؛ حيث تنشغل السلطة بالعمل على تكييف وتدريب وتطويع الجسد ليصبح ماهرًا وأكثر قدرة على الإنتاج، فهي «توظّفه، وتطبّعه، وتقوّيه، وتعذّبه، وتجبره على أعمال وتضطرّه إلى احتفالات وتطالبه بدلالات» [٣].

هذا التوظيف السلطوي للجسد، أو إن شئت قل الاستثمار السياسي للجسد مرتبط، وفقًا لعلاقات معقّدة ومتبادلة، باستخدامه اقتصاديًّا، وإلى حدّ بعيد قوَّة إنتاج يزوّد بعلاقات سلطويَّة وبسيطرة. لكن بالمقابل، إنَّ تكوينه بوصفه قوَّة عمل لا يكون ممكنًا إلا إذا أخذ ضمن نظام استعبادي، ولا يصبح الجسد قوَّة نافعة إلا إذا كان في آن واحد جسدًا منتجًا، وجسدًا مسترقًّا. هذا الاسترقاق لم يحصل بالوسائل وحدها التي منها إمَّا العنف وإمَّا الإيديولوجيا. فالاسترقاق ممكن أن يكون مباشرًا تمامًا وجسديًّا، يستخدم القوَّة ضد القوَّة، ويتناول عناصر ماديَّة. ومع ذلك لا يكون عنيفًا، قد يكون محسوبًا، ومنظّمًا، ومدروسًا، من الناحية التقنيَّة، وقد يكون لطيفًا مرهفًا، لا يستخدم الأسلحة ولا الإرهاب، ومع ذلك يبقى ضمن الإطار الجسدي[٤].

---

١ - مطاع صفدي: مؤسسة الإنسان الانضباطي، ص٣٧.
٢ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص ٦٣.
٣ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص ٦٤.
٤ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص٦٤.

وهنا يربط (فوكو) بين «الجسد» و«المجتمع» من خلال فكرة محوريَّة، وهي أنَّ السلطة لا تمارس فقط عبر القوانين الكبرى أو العنف المباشر، بل تتغلغل في التفاصيل اليوميَّة الصغيرة التي تشكّل سلوك الأفراد وتؤثّر في أجسادهم، لذلك قرّر (فوكو) أنَّ المجتمعات الحديثة انتقلت من سلطة سياديَّة قديمة (الملك، والعقاب العلني، والإعدام) إلى سلطة انضباطيَّة أكثر دقَّة من قبيل الأمر السلطوي المجتمعي: لا تقتل الجسد بل قم بتدريبه. وهو ما ظهر بوضوح في تعليق (فوكو) على إصلاحيَّة (ميتراي -Mettray) التي كانت تُسمّى ومثيلاتها في أربعينيّات القرن التاسع عشر بالمستعمرات، ووقوفه عند تعليق لأحد الغلمان العمّال الذي قال: "كنّا نفضّل اللكمات، لكن الزنزانة تناسبنا أكثر". ملخّصًا بذلك حقيقة التحوّلات في السياسة الجنائيَّة الجديدة المتّبعة حيال الجسد [١]. وكيف تغيرّت هذه الإصلاحيَّة حسب ما جاء في إعلانها «ديرًا، وسجنًا، ومعهدًا، وثكنة» أي أنَّها أصبحت كل هذه المؤسّسات في وقت واحد. ذلك هو كمال تشكيل النظام الاعتقالي، ذروة تطوّره [٢].

إنّ «السلطة» تعمل هنا عبر: المدرسة، والسجن، والمستشفى، والثكنة العسكريَّة، والدير، والمصنع. فلم يعد الجسد عند (فوكو) مجرّد كيان بيولوجي بل أصبح موضوعًا للضبط والمراقبة، وأداة للإنتاج، ووسيلة لتجسيد الطاعة. فالسلطة تنظّم الحركات (الجلوس، والوقوف، والمشي) وتضبط الزمن (الجداول، والحصص، وساعات العمل)، وتراقب الأداء (الامتحان، والتفتيش، والتقويم).. هكذا يتحوَّل الجسد إلى ما يسمّيه (فوكو) «جسدًا طيّعًا» فهذه التفاصيل تصنع الطاعة، والامتثال، والإحساس الدائم بالمراقبة. ونتيجة لهذه المراقبة يضبط الفرد نفسه بنفسه، فتصبح السلطة داخليَّة لا خارجيَّة، ولا تصبح شخصًا واحدًا أو مؤسَّسة واحدة بل تصبح شبكة منتشرة تعمل عبر العلاقات اليوميَّة ويشارك فيها الجميع؛ حيث يشارك الأفراد أنفسهم في إعادة إنتاجها.

إنَّ السلطة تمارس في التفاصيل الصغيرة؛ في طريقة الجلوس في الفصل، ومن خلال نظام

١ - مطاع صفدي: مؤسسة الإنسان الانضباطي، ص٣٨.
٢ - مطاع صفدي: مؤسسة الإنسان الانضباطي، ص٣٨.

العلامـات والدرجات، وفي الطابور الصباحي، والسـجلّات الطبيَّة، وكامـيرات المراقبة، وفي المقاربة الذاتيَّة؛ حيث يراقب الإنسان نفسه بنفسه. والجسد هو ساحة الصراع الأساس. ومن ثَمَّ تستطيع هذه السلطة من خلال الانضباط والمراقبة أن تصنع أفرادًا مطيعين.

إذن، السلطة لا تمارس فقط عبر الدولة أو عبر قوانينها، وإنَّما تمرّ عبر الجسد نفسه؛ فالسلطة تشـكّل الجسد، وتدرّبه، وتراقبه، وتنتج منه جسـدًا مطيعًا ونافعًا. وعلى هذا يصبح الجسد عند (فوكو) ليس مجرَّد شيء طبيعي فحسـب، وإنَّما منتج اجتماعي وسـياسي؛ حيث يبدو الهدف الأسمى للسـلطة الحيويَّة هو إخضاع الحياة لاستراتيجيّات السياسة. وقد تجلّى الجسد بوصفه هدفًا أو موضوعًا للسـلطة الانضباطيَّة التي تهدف إلى ضبط الأجساد بدل تعذيبها علنًا، ويكون ذلك عبر مؤسَّسات مختلفة غايتها إنتاج أجساد مطيعة ومنتجة.

رابعًا: إمكان التحرّر في فكر (فوكو) بين المراقبة والمقاومة

تنطلق السلطة من ثنائيَّة الآمر والمأمور، والحاكم والمحكوم؛ إذ هي المحصّلة النهائيَّة لحالة ثنائيَّـة الأطراف تتمثّـل في الخاضع والمخضوع له[1]. ومن ثَمّ، يكـون هناك طرف قاهر وطرف مقهور. لذلك، يرى (فوكو) أنّه حيثما وجدت السلطة وجدت المقاومة، ونقط المقاومة حاضرة في كلّ مكان من شـبكة السلطة؛ ومن ثَمَّ ذهب (فوكو) إلى أنَّ السلطة الراهنة لا تعمل فقط عبر القمع المباشر بل من خلال آليّات دقيقة للمراقبة والتنظيم، وهذا ما يثيره في ثنايا كتابه «المراقبة والمعاقبة» من خلال تناوله لشرح نموذج معتقل «البانوبتيكون» بوصفه رمزًا لسلطة تجعل الفرد خاضعًا للمراقبة الدائمة أو مراقبًا لنفسه بنفسه، أو منضبطًا دون حاجة إلى عنف مباشر. وهنا تنتج المراقبة ذوات مطيعة؛ حيث يتداخل الجسـد والمعرفة والسلطة في تشكيل السلوك. لذلك كان من الطبيعي أن تجد هناك مقاومة أو معارضة تنشـد التحرّر من هيمنة السـلطة الجائرة وبطشها. فهل عندما تتحوَّل السـلطة من التركيز في شـخص واحد أو جماعة معيّنة تمثّل طرفًا واحدًا هو المخضوع له، وإلى جميع الأطراف؛ حيث تنتشر في جميع أطراف المجتمع، يكون لدينا إمكانيَّة

١ - جودة محمد إبراهيم أبو خاص: المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو، ص١٠٦.

للحديث عن المقاومة أو التحرّر؟ هذا هو السؤال المحوري لهذا المحور.

يؤكّـد (فوكو) على أنَّه لا يجب أن تُفهم السـلطة على أنَّها شيء يمكن أن نمتلكه أو نفقده بل بوصفها شـبكة علاقات منتـشرة في كل مكان، ولهذا يؤكّد أنَّه حيثما وُجدت السـلطة، وجدت المقاومة كما هو الحال في السلطة بمعناها الكلاسيكي، ما يعني أنَّ السلطة المستندة إلى المراقبة لا ترفض إمكانيَّة التحرّر نهائيًّا بل تفتح في الوقت ذاته مساحات التمرّد لرفضها أو إعادة توجيهها.

ويتناول (ميشـيل فوكو) مسألة التحرّر بوصفها إشـكاليَّة معقّدة تنشأ داخل علاقات السلطة/المعرفة، لا خارجها. فالسلطة عند (فوكو) لا يجب أن تصطدم بالحُريَّة، وإنَّما عليها أن تقيم معها نوعًا من الأخذ والعطاء، والشدّ والجذب واللعب والمداورة، وهي إن لم تفعل ذلك، تحوَّلت إلى طغيان أو استبداد أعمى. وإذا كانت السلطة لا يقوم لها كيان إلا مع الحريَّة؛ حيث يقول (فوكو): «سـتظهر الحُريَّة باعتبارها شرطًا لوجود السـلطة.. لكنَّها أيضًا تظهر كما لو أنَّها لا يسعها إلا أن تقاوم ممارسـة السلطة التي تنزع في النهاية إلى تحديد هذه الحُريَّة كلّيًّا»[١]. فإنَّ هذا لا معنى له إلا بمقاومة السـلطة ومعارضتها؛ إذ ليس هناك قوَّة من غير ردّ فعل، ولا ممارسة حقيقيَّة من غير تعارض بين قطبين أو طرفين[٢].

وعلى هذا النحو يجد (فوكو) أمامه حشدًا هائلاً من حركات المقاومة والمعارضة التي يجدر دراسـتها وتحليلها، فهناك حالات كثيرة من المقاومـة: المقاومات الممكنة، والضروريَّة، وغير المحتملة، والتلقائيَّة، والمتوحّشـة، والمنعزلة، والمبتـسرة، والعنيفة، والمتضاربة، والميّالة إلى الصلـح، والهادفة إلى مصلحة، وتلك التي لا تتوخَّى هدفًا بعينه، وهذه المقاومات لا يمكن أن توجد تحديدًا، إلا في حقل اسـتراتيجي لعلاقات القوى[٣]. ويعني (فوكو) بالصراعات المباشرة تلك التي تحدث عبر توزيعاتها وتناثرها في جسم المجتمع آثارًا سلطويَّة بعينها. ومثال على ذلك ما يحدثه نظام مثل الثورة من صراعات فوضويَّة وحركات تخلخل للسلطة المركزيَّة، أو ما يبذله الأفراد من صراع للحفاظ على فرديّتهم ومن مجهودات. وفي الوقت نفسـه، ضدّ كلّ محاولات

١ - ميشال فوكو: بحثان حول الفرد والسلطة، ص ١٩٧.
٢ - محمد علي الكردي: نظريَّة المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص ٤٣٢.
٣ - عبد العزيز العيادي: السلطة والمعرفة، ص٦٧.

التفرقــة بينهم وبــين أقرانهم، وكذلــك الصراعات التي تجــري ضدّ الامتيــازات والاحتكارات المعرفيَّة، أي كلّ أشكال المعرفة التي تتوزّع وفقًا لمراكز القوى في المجتمع[١].

ومــن هنا، يمكن فهم إمــكان التحرّر في فكر (فوكــو) من خلال التوتّر الدائــم بين المراقبة والمقاومــة؛ إذ يُقصد من هــذا التوتّر الحفاظ عــلى هويَّة المحكومين أو الخاضعين للســلطة، ومقاومة كل ألوان العنف والبحث والاستقصاء التي يمكنها أن تؤثر على الهُويَّة أو تشكيلها وفقًا لمنظور القوى الفوقيَّة. ومن خلال هذه الصراعات يتحوّل الأفراد إلى ذوات واعية؛ إذ إنَّ الذات تكتسب معنيين من خلال عمليَّة المقاومة ضدّ كل ألوان القهر والقمع، كما يذهب (فوكو): معنى الخضوع والتبعيَّة لنظام الضبط تجاه القوى المهيمنة، ومعنى المحافظة على الهُويَّة وتماســكها عبر عمليّات إدراكها والوعي بها[٢].

وإذا كان (فوكو) قد جعل المقاومة شرطًا للتحرّر؛ فإنَّ هذه المقاومة ليست ثورة شاملة واحدة، ولا فعلاً خارجيًّا عن السلطة بل هي ممارسة يوميَّة، وجزئيَّة، ومتعدّدة، مثل: إعادة تعريف الذات، أو التشــكيك في الخطابات السائدة، أو كسر معايير «الطبيعي» و«السوي».. فالتحرّر لا يتحقّق بإلغاء الســلطة بل بتغيير علاقتنا بها. «فالسلطة قوَّة موجّهة وليست مواجهة دامية مع الآخر، كما أنَّها ليست في حاجة إلى الصراع أو العنف ولا حتى إلى التعاقد أو الالتزام الإرادي، وإن لزم الأمر اللجوء إلى هذه القوى أو الارتباطات، فإنَّما يكون ذلك على الأكثر في صورة وســائل وأدوات، وليس تحقيقًا لأهداف وغايات»[٣].

فالمقاومة في نظر (فوكو) لا تنتهي إلى مجابهة عنيفة أو صدام مكشوف، وإنَّما يتولَّد عنها بروز «ميكانزمات» جديدة للســلطة. وفي الأعمال المتأخّرة لـ (فوكو) يطرح مفهوم «تقنيّات الذات»؛ حيث يصبح التحرّر ممكنًا عبر العمل على الذات، وأن نفطن إلى الوعي بكيفيَّة تشكّلنا بوصفنا ذوات خاضعــة. كما أنَّ المقاومة-عند (فوكو)- تظلّ فعلاً خُلُقيًّا يتطلّب الاســتمراريَّة؛ حيث إنَّ

١ - محمد علي الكردي: نظريَّة المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص ٤١٥.
٢ - محمد علي الكردي: نظريَّة المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص ٤١٥.
٣ - محمد علي الكردي: نظريَّة المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص ٤٣١.

التحرّر ليس حالة مؤقّتة بل ممارسة دائمة داخل شروط السلطة نفسها [١].

خلاصة القول إنَّ إمكان التحرّر في فكر (فوكو) لا يقوم على الهروب من المراقبة بل على كشف آليّاتها، وتفكيك خطابها، وإنتاج أشكال مقاومة داخليَّة. إنَّ المقاومة في أصلها وحقيقتها تحرّر نسبي، ومتحرّك، ومفتوح، يتحقَّق في الصراع اليومي بين السلطة والذات.

خامسًا: نقد (فوكو) من منظار القِيم والأخلاق الدينيَّة

إذا كانت نظريَّة السلطة الحيويَّة عند (فوكو) قد كشفت عن كيفيَّة ممارسة الدولة الحديثة لسلطتها عبر إدارة الحياة (الجسد، والصحة، والإنجاب، والسكّان، والتعليم)، وكشفت أشكالاً خفيَّة من السلطة لم تكن تحت المجهر، وساعدت على تكوين وعي نقدي بالسلطة الحديثة، لكنّها -مع ذلك- قد وقعت في مآزق دينيَّة وخُلُقيَّة؛ إذ إنَّها فصلت بصورة عامَّة الحياة عن معناها السامي، وفصلت السلطة عن القيم الخُلُقيَّة النبيلة، ولم تراع قدسيَّة الحياة الإنسانيَّة، ولم تأخذ في اعتبارها كرامة الإنسان والتعامل معه بوصفه غاية لا وسيلة، ولم تهتم بوضع معيارًا خُلُقيًّا يتجاوز السلطة، وغيرها من المآخذ التي يمكن تفصيلها في ما يأتي:

١. التعامل مع الإنسان بوصفه جسدًا قابلاً للضبط: تعاملت نظريَّة السيادة الحيويَّة مع الإنسان بوصفه رقمًا أو كائنًا إحصائيًّا داخل «تعداد السكان»، فاختزلت بذلك الإنسان إلى جسد أو رقم. واعتبرت الجسد أساسًا للسلطة، وأنَّه قابل للتهذيب وفق معايير السلطة. رغم أنَّ الإنسان لا يمكن اعتباره موردًا حيويًّا، بل كائنًا مكرّمًا له قيمة ذاتيَّة، أو كما نظر إليه (إيمانويل كانط- Immanual Kant) بوصفه الغاية الأخيرة للخليقة، وأنَّه يعلو على كل مقابل أو ثمن، ولا يمكن استبداله بشيء آخر مكافئ له [٢]. وإذا نظرنا إلى الجسد من منظار ديني وجدنا أنَّ الجسد في الإسلام مكرَّم له حقوق، ليس ملكًا مطلقًا للإنسان، وليس موضوعَ سيطرة سياسيَّة شاملة كما زعم (فوكو). كما أنَّ للجسد -في

١ - انظر: ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانيَّة، الانشغال بالذات، ص٣٧-١٠٠

٢ - انظر: كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ص٨١.

الإسلام- حقوقًا خُلُقيَّة أهمّها الطهارة، والاعتدال، وعدم إرهاقه أو إنهاكه، أو تحميله ما لا يطيق. لا معاملته بطريقة تقنيَّة سلطويَّة كما في الضبط الحيوي.

٢. التركيز على وصف آليَّات السلطة دون الحكم الخُلُقي عليها: تجنّب (فوكو) الحديث عن الخير والشرّ أو الحقّ والباطل وجعل محور اهتمامه منصبًّا على وصف آليَّات السلطة دون الحكم الخُلُقي عليها، وهذا يمثّل عوارًا كبيرًا في نظريَّة (فوكو)؛ إذ إنَّ السلطة التي تدير الحياة دون مرجعيَّة خُلُقيَّة متجاوزة قد تنزلق إلى التلاعب بالإنسان تحت مُسمَّى «المصلحة العامة». وهنا كان المأزق الأكبر الذي وقعت فيه نظريَّة (فوكو) عن السيادة؛ إذ كانت الأخلاق هي الغائب الأكبر. ومن ثَمَّ يكون تحليل السلطة دون مرجعيَّة خُلُقيَّة متعالية قد يؤدّي إلى تبرير الظلم باسم «تنظيم الحياة». كما أنَّ (فوكو) في سائر اهتماماته الفلسفيَّة رفض المعايير الخُلُقيَّة المطلقة، ورأى أنَّ الأخلاق نسبيَّة وتاريخيَّة.

٣. الحياة عند (فوكو) موضوع سياسي: ذهب (فوكو) إلى أنَّ الحياة موضوع سياسي يمكن التحكّم فيه عبر السجلّات، والإحصائيَّات، والشبكات، والبيانات، والتقارير الطبيَّة والمؤسَّسيَّة بل يمكن اختزال حياة الإنسان بوصفه جسدًا في حياة بيولوجيَّة، ما يجعل بإمكان السلطة الحيويَّة أن تقرّر مَنْ تحسّن حياته، ومَنْ يُهمَّش، ومَنْ يُترك للموت بشكل غير مباشر، وهو الأمر الذي يُفقد الحياة بُعدها ومعناها الغائي، ويحوّل الإنسان إلى مادَّة تدبير سياسي لا ذات مكرَّمة كما تنظر إليها الأديان؛ فالحياة في الإسلام نفخة إلهيَّة، يقول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٢٩]. والإنسان في جوهره ليس جسدًا فقط، بل هو روح وعقل وجسد، وحياة الإنسان أمانة وليست ملكيَّة خاصة أو عامَّة، لا للفرد ولا للدولة. وأي سلطة تدَّعي لنفسها حقّ التحكّم الجذري في الحياة تهدّد مبدأ الرحمة والعدالة.

٤. تستمدّ السلطة شرعيَّتها من الشبكات والمؤسسات: إنَّ نظريَّة السيادة الحديثة عند (فوكو) قد انطلقت من أنَّ السيادة لم تعد «حقّ القتل»، كما كانت في نظريَّات السيادة الكلاسيكيَّة، وإنَّما أصبحت حقّ «إدارة الحياة»، ومن ثَمَّ تمتلك السلطة الحيويَّة حقّ

التحكّم المطلق في حياة الناس، فقد سقط الإنسان خاضعًا لنظام مؤسَّسي اجتماعي تحكمه آليَّات السلطة وعلاقات المعرفة، بعد أن كان حُـرًا وقادرًا على امتلاك زمام أمره وحسن قيادة ذاته [١]. وهنا تستمدّ السلطة شرعيَّتها من الشبكات والمؤسَّسات، وتضفي قداسة ضمنيَّة على الدولة. في حين تستمد السلطة في الأديان السماويَّة من الله، وفي كثير من الأديان الأخرى من الأخلاق. وفي الإسلام تكون السيادة لله وحده، يقول تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]. والحاكم في الإسلام وكيل عن الأُمَّة، ومسؤول عن رعيَّته، ومحكوم بالعدل والشريعة، لا يملك حقّ التحكّم في حياة الناس. وإذا جار على حقّ العباد يخضع للمساءلة الخُلُقيَّة والدينيَّة بتهمة خيانة الأمانة.

٥. تغييب المسئوليَّة الفرديَّة في السلطة الحيويَّة: ركّز (فوكو) على البنى والأنظمة على حساب الفرد الذي نظر إليه على أنَّه في الغالب نتاج للسلطة؛ حيث أصبحت الذات الفرديَّة «إمَّا مقنَّعة داخل ذاتها أو مقنّعة من الآخرين»[٢]. وهذا أمر خطير خُلُقيًّا؛ إذ إن تغييب المسؤوليَّة الفرديَّة يضعف البُعد الخُلُقي، ويذيب الإنسان في النظام العام، ويؤدّي إلى تبرير الانصياع للأنظمة السياديَّة بحجَّة الضبط الحيوي. وهذا الأمر قد رفضته الأديان، فقد أكَّدت الأديان على أهميَّة النظر إلى الإنسان بوصفه فردًا، ومثال ذلك ما جاء في الإسلام الذي نظر إلى الفرد على أنَّه: حُرّ، ومختار، ومسؤول، ومحاسب فرديًا، يقول تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

سادسًا: الإنسان المستباح عند (أغامبين) وعلاقته بالسيادة الحيويَّة عند (فوكو)

تناول الفيلسوف الإيطالي (جورجيو أغامبين) بالمعالجة والنقاش خلال رباعيَّته المشهورة «الإنسان الحرام» ما أطلق عليه «حالة الاستثناء»، وهي حالة تتيح للسلطة فعل ما لا يمكن فعله

١ - انظر: حسين موسى: مقدمة الترجمة العربيَّة لكتاب فوكو: الفرد والمجتمع، ص١٢-١٣.
٢ - انظر: درايفوس ورابينوف: ميشال فوكو - مسيرة فلسفيَّة، ص٢٠٥.

في الظروف العاديَّة، أو هي حالة تبيح للسلطة أن تفعل ما تبلغ قوّتها فعله، مما كان خارج نطاق صلاحيّتها وفقًا للقانون العادي الذي يُسـيرّ ما لا تعدّه السلطة استثناء. إذن، حالة الاستثناء هي الحالة التي تعلّق فيها القوانين في البلاد، ويعلّق فيها العمل بالدسـتور بسبب حالة طارئة وقعت في البلاد[١]. أو بعبارة الفيلسـوف الألماني (كارل شـيمت) هي حالة يتعطَّل فيه «تعريف العمل بالنظام القانوني بأن تتخلخل شروط اشتغاله»[٢].

ويمكننا أن نرى في حالة الاسـتثناء هذه: مذابح أو حالات قتل جماعي، ومعتقلات وحشيَّة، ومحاكمات صوريَّة، واستخدام أسلحة فتّاكة ضدّ مدنيين عزّل. ويجري نفي «الإنسان المستباح Homo Sacer» إليها، وهو إنسـان جرى نفيه واسـتبعاده من لعب أي دور في الحياة السياسـيَّة والاجتماعيَّة في الوقت الذي جرى تضمين حياته العارية داخل النسق السياسي.

وقد بنى (أغامبين) مشروعه عن "الإنسان المستباح" بربطه بمفهوم السلطة الحيويَّة الذي سبق أن قدَّم له (فوكو) أوَّل تحليل فلسـفي متماسـك، وذلك بطريقة لا تخلو من مفارقة؛ حيث كان الأسـاس النظري الذي قدَّمه (فوكو) هو التفرقة بين السلطة السياسـيَّة الكلاسيكيَّة التي اعتبرها معنيَّة بالقتل والإقصاء، والسلطة السياديَّة الحيويَّة التي تهتم بالحياة والإنتاج؛ حيث نظر (فوكو) إليهـما على أنَّ كل منهما يمثّل قطيعة تاريخيَّة مع الآخر، وهو الأمر الذي رفضه (أغامبين) وأكَّد على وجود علاقة زمنيَّة ومنطقيَّة بينهما، وذلك من خلال تأكيده على أنَّ إنتاج ما أسـماه "الحياة العارية Bare Life" هو الفعل الأصلي للسلطة السياديَّة، فعندما تستهدف الدولة الحديثة الحياة البيولوجيَّة بشكل أساس يظهر الرابط الخفي بين السلطة السياديَّة والحياة العارية[٣]. إنَّ (أغامبين) قد بنى نظريَّته على تحليلات (فوكو) في الوقت الذي عارض فيه أساسه النظري.

فإذا كانت الحياة والموت مقولتين أساسـتين في أطروحة السياسـات الحيويَّة، لكن كل من (فوكـو) و(أغامين) قد وظَّفهـما توظيفًا مختلفًا عـن الآخر؛ حيث تجاهـل كل منهما أن تؤدّي

---

١ - انظـر: مصطفـى كمال المعاني وآخرون: «نظرة في فلسـفة الاسـتثناء عند الفيلسـوف الإيطالي جورجيو أغامبين»، ص٢٢٩.

٢ - انظر: كارل شميت: مفهوم السياسي، ص٢١.

٣ - جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَة، ص٢٠.

السياســات الحيويَّة دور سياسات الحياة والموت في الوقت نفسه، بحيث تكون سياسات حياة في التحسّــن، والمراقبة، والحفاظ على مظاهر الصحَّة، وطول العمــر، والقوّة البيولوجيَّة. وفي الوقت نفســه، تمهّد ظروفًا محدَّدة لتلك الحياة، وتهيّئ ظواهر ضارّة وقاتلة، وتشرّع فرض حالة الاستثناء، ومن ثَمَّ تجري حالة الاستثناء، ويجري فتح المجال لإجازة الإقصاء، والمنع، والحظر، والمراقبة[١].

مــن هنا أكَّد (أغامبــين) على أنَّ مفتــاح فهم الظواهر السياســيَّة الحديثة يكمــن في طبيعتها البيوسياسيَّة، ومن ثَمَّ يكون الإنسان المستباح ليس خارج القانون ولا هو داخله، إنَّما هو مهمل من قِبله، ومعرّض للخطر[٢]. ليس له حقوق المواطن، ولا حتى حقوق الإنسان، فهو غير مسموح بقتلــه، ولكن الــذي يقتله لن يدان بقتل نفس بشريَّة[٣]. ويســتعير (أغامبين) مــن (فوكو) مفهوم «التحكّم بالرقاب» الذي عبر به عن أحد امتيازات السلطة السياديَّة. ليعبر به عن أنّ الجسد أصبح موضوع الديمقراطيات الحديثة ســواء بكونه محلّ لممارسة السيادة بإخضاعه، أم بكونه ملكيَّة الفرد التي يتســيّد عليها ويمارس في ميدانه حُرّيَّاته ويطالب بحقوقــه الفرديَّة[٤]. فالحياة العارية هنا قد توفّر لصاحبها مقوّمات الحياة البيولوجيَّة دون أن تضمن له الحماية أو الحقوق الإنسانيَّة. وهنا يساوي (أغامبين) صراحة بين الأنظمة الديمقراطيَّة والأنظمة الاستبداديَّة في هضمها لحقوق الإنسان وحُرّيَّته.

فالحياة العارية تشــبه حالات حياة الإنســان المريض بمرض عضال ميؤوس من شفائه، غير مســموح لأحــد خُلُقيًّا بقتله عند معظم النــاس، لكن قتله لن يؤدّي إلى جريمة شــنعاء في إطار ممارســات القتل الرحيم المســموح به في الغرب. كما يبيح (أغامبــين) اقتطاع أعضاء المريض الــذي دخل في مرحلة الموت الدماغي أو الغيبوبة التي لا رجوع منها، وإن كان يواصل التنفّس

١ - عامــر شــطارة، دعاء نصــار: مفهوم السياســات الحيويَّة بين ميشــيل فوكو وجورجيــو أغامبين، ص١١٠-١١١.
٢ - جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَة، ص٢٠.
٣ - جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَة، ص٩٧.
٤ - انظر: جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَة، ص١٦٣-١٦٤

بفضل تقنيّات الإنعاش الحديثة دون اتهام الجراح بالقتل[١]. فالمريض هنا، يمثّل الحياة العارية لإنسان مستباح، ويرى (أغامبين) أنَّ القتل الرحيم أو نقل الأعضاء للمرضى الذين دخلوا في غيبوبة لا رجعة منها يحتّم انقلاب السيادة الحيويَّة إلى سيادة الموت.

فإذا كانت السلطة السياديَّة بالنسبة إلى (فوكو) هي سلطة الإماتة في مقابل السلطة الحيويَّة التي تُعدّ سلطة الإحياء، فإنَّ (أغامبين) يقدّم السياسات الحيويَّة بوصفها سياسات الموت؛ لأنَّ عمليَّة إخضاع الحياة للسياسة ليست منفصلة عن الشكل الإقصائي والعقابي للسيادة التي لا تخضع الحياة لها من أجل تحسينها وتنظيمها ومراقبتها، بل إنَّ هدفها أوسع من ذلك؛ لأنَّ عمليَّة إنتاج الحياة العارية تجعل الأفراد خاضعين لإمكانيَّة قتلهم والتخلّص منهم[٢].

خاتمة:

١. عمل (فوكو) ضمن إطار فلسفته العامَّة التي ادّعى أنّها فلسفة واقعيَّة تلقي بقارئها مباشرة في ملابسات اليومي والمعيش، و«الما يحدث»، والاهتمام بالراهن، ورأى أنَّ هذا أهمّ ما يميّزها، فأسس مفهوم السلطة الحيويَّة ليصف به شكلاً جديدًا من أشكال السلطة يهدف إلى إخضاع الحياة لاستراتيجيَّات السياسة؛ ليقيم فصلاً بينها وبين السلطة السياديَّة التي تمارس حق الموت والحياة، من أجل السيطرة. ويميّز بين الأخيرة وبين السلطة الحيويَّة التي اتَّخذت طابع تحسين الحياة، وتمكينها، والحفاظ على الجسد الاجتماعي من أجل إخضاعه للتنظيم والمراقبة، والتي لم يعد يحدّها صورة القانون والموت، بل هاجسها ورهانها الحياة والإحياء، تدير الحياة وتخضع الأجساد من خلال «التشريح السياسي للجسد الإنساني» و«السياسة الحيويَّة للسكان».

---

١ - انظر: جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العاريَّة، ص٢٠٧-٢١٣

٢ - عامر شطارة، دعاء نصار: مفهوم السياسات الحيويَّة بين ميشيل فوكو وجورجيو أغامبين، ص١٠٦.

٢. إذا كان الهـدف عند (فوكو) من السـلطة الحيويَّة هو تقديـم صورة أخرى بديلة عن السلطة السـياديَّة يجري من خلالها تنظيم الحياة بكل أبعادها من خلالها إخضاعها للضبط والمراقبة، فإنَّ هذا الهدف الأساس الذي يقوم على التوجّه إلى الحياة بوصفه قصدًا لها قـد فُقدَ عند (أغامبين)؛ حيث لم يعد الهدف هو تحسـين الحياة بل نفيها وتعريتها، لتتحوَّل من «الحياة المُحسّنة» إلى «الحياة العارية»؛ أي المجرَّدة من أهليَّتها القانونيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة، بحيث يسهل إخضاعها لإمكانيَّة الموت والإقصاء من خلال «حالة الاستثناء» التي تعدّ نموذجًا لأَنْ يشرّع القانون تعليق نفسه.

٣. كشـف تناول (فوكو) للسـلطة حقيقة مُهمَّة مُفادها أنَّ المجتمعـات الغربيَّة الحديثة في تعاملها مع السـلطة ليسـت إلا تكرارًا لما سـبق لها أن مارسـته على مدار قرون طويلة من التقديس المطلق للسلطة؛ إذ تمتّعت السلطة في العصور الوسطى بنوع من القداسة الكهنوتيَّة، ثمَّ أصبحت كذلك عبر مؤسَّسات الحضارة الغربيَّة الحديثة التي اكتسبت قوانينها درجة مطلقة من القداسة أيضا، إذ تحوَّلت المؤسَّسات الاجتماعيَّة إلى مؤسَّسات وأجهزة سلطويَّة تستند إلى قوانين مطلقة لا يمكن مناقشتها أو رفضها أو التحرّر منهـا. ومن ثَمَّ رفض (فوكو) هذا التقديس المطلق للسـلطة، وعمل على تغيير هذه الحالة بهدف التأسـيس لمرحلة جديدة تهدف إلى تعرية هذه المؤسَّسات والأفكار والمقولات، وتفسح المجال لإمكانيَّة تعديلها أو نسفها.

٤. تشتغل السلطة الحيويَّة -حسب (فوكو)- في محورين رئيسين، يتمثَّل أوَّلهما في محور الجسد الآلة الذي يركّز على الجسد بوصفه آلة: فترويضه، وزيادة قدراته، وانتزاع قواه، والنمو المتوازي لفائدته وطواعيته، ودمجه في أنظمة مراقبة فعَّالة واقتصاديَّة، ويطلق (فوكو) على هذا النمط من السـلطة سياسـة تشريحيَّة للجنس البشري. أمَّا المحور الثاني فهو محور الجسـد/ الجنـس البشري الذي يركّز على الجسـد المخترق بآليَّة الكائن الحي والقائم مقام الركيزة للسياقات البيولوجيَّة: التكاثر/الولادات /الوفيات/ المستوى الصحّي، ويسمّيه (فوكو) السياسة.

٥. رغم جهود (فوكو) لتقديم رؤية واضحة لتمايز السـلطة الحيويَّة عن السلطة السياديَّة

التي راجت من قبله لكنَّه بدا متخبّطًا في بعض الأحيان في عرض مفهوم السياسات الحيويَّة؛ إذ استعمل مفهوم السلطة الحيويَّة ليعبّر عن مفهوم السياسات الحيويَّة بوصفها استراتيجيَّات وتقنيات ووسائل ومعارف تهدف إلى إخضاع الحياة. كما تجاهل الجوانب الخُلُقيَّة والدينيَّة، فكانت القيمتان الخُلُقيَّة والدينيَّة هما الغائب الأكبر، الأمر الذي يسبّب خطورة كبرى؛ إذ إنَّ السلطة دون مرجعيَّة خُلُقيَّة ودينيَّة قد يؤدّي إلى تبرير الظلم باسم « تنظيم الحياة».

لائحة المصادر والمراجع:

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا ط، ١٩٩٠.
- جودة محمد إبراهيم أبو خاص: المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، أيلول/سبتمبر ٢٠١٧.
- جورجيو أغامبين: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العارية، ترجمة: عبد العزيز العيادي، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠١٧.
- عبد العزيز العيادي: المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.
- محمد علي الكردي: نظريَّة المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، لا ت.
- مصطفى كمال المعاني وآخرون: "نظرة في فلسفة الاستثناء عند الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين"، مجلة الجمعيَّة الفلسفيَّة المصريَّة، العدد٣٠ ٢٠٢١.
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيَّة، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.
- بغورة، الزواوي، الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ٢٠١٣.
- درايفوس ورابينوف: ميشال فوكو – مسيرة فلسفيَّة، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، لا ت.
- عامر شطارة، دعاء نصار: "مفهوم السياسات الحيويَّة بين ميشيل فوكو وجورجيو أغامبين"، مجلة تبيّن، العدد٤٠، المجلد١٠، ربيع ٢٠٢٢.
- كارل شميت: مفهوم السياسي، ترجمة: سومر المير محمود، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٧.
- هاشم صالح: «فيلسوف القاعة الثامنة»، مجلة الكامل، العدد ١٣، يوليو ١٩٨٤.
- مطاع صفدي: مؤسسة الإنسان الانضباطي، مقدمة الترجمة العربيَّة لكتاب مشيل فوكو:

المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠.

- مطـاع صفدي: نقد العقل الغربي: الحداثة وما بعـد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠.
- إيمان علاء الدين: قراءة وعرض لكتاب: المنبوذ: السلطة السياديَّة والحياة العارية للفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين، مركز نماء للبحوث والدراسات، لا ت.
- ميشـيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سـبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- ـــــــ: إرادة المعرفـة، ترجمـة مطاع صفدي وجورج أبي صالـح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠.
- ـــــــ: المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ترجمة على مقلد، تقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠.
- ـــــــ: تاريخ الجنسانيَّة، الانشـغال بالذات، ترجمة: محمد هشام، دار افريقيا الشرق-المغرب، ٢٠٠٤.
- بـول ڤيين: أزمة المعرفة التاريخيَّة: فوكو وثورة في المنهـج، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٣.
- كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الدار القوميَّة للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- محمد بن علي محمد، علي عبد المعطي محمد: السياسة بين النظريَّة والتطبيق، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، ١٩٩٧.
- حسـين موسى: مقدمة الترجمة العربيَّة لكتاب فوكو: الفرد والمجتمـع، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.
- عبد الله السـيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة في فلسـفة ميشـيل فوكو، الـدار العربيَّة للعلوم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.